مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف
مجلة دولية نصف سنوية : ISSN :2602- 554X EISSN :2773-2568
المجلد : 07 العدد : 02 السنة : 2022 ص- ص : 160-173

سمة العصابية والانبساط وأثرهما على سلوك المتهم.

Trait of neuroticism and extraversion and their impact on accused behavior.

التجاني جرادي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)

t.djeradi@laghou-univ.dz

تاريخ الاستلام:2022/2/14 تاريخ القبول : 2022/9/10

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد العوامل التي تقف وراء اختلاف الاستجابة بين اثنين من المتهمين بنفس التهمة أمام المحكمة. تم استخدام منهج تحليل المضمون لفيديو المحاكمة.

انتهت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية.

1- كانت استجابة (المتهم الأول) هستيرية ، واستجابة (المتهم الثاني) ديستيمية.

2- أن الاختلاف في الاستجابة بين مفردتي البحث أمر طبيعي ، سببه العامل الوراثي بالأساس.

3- لا يوجد قوي أو ضعيف نفسيا بين المفردتين ، بل كلاهما كان متأثرا والاختلاف بينهما كان في طريقة التعبير عن الصدمة .

4- أنّ اختلاف الاستجابة، يرجع إلى الاختلاف في بعد العصابية مقابل الاتزان الانفعالي وبعد الانبساط مقابل الانطواء.

الكلمات المفتاحية: عصابية ؛ انبساط ؛هستيري ؛ ديستيمي.

Abstract:

The purpose of this study is to determine the factors that cause the difference in response between two defendants of the same charge in court. The content analysis method was used. The study reached the following conclusions:

1- The response of (the first suspect) was hysterical, and the response of (the second suspect) was dysthymic

2- The difference in response between the two research terms is natural, mainly caused by the genetic factor

3- There is no psychological strength or weakness between the two terms, but both were affected and the difference between them was in the way of expressing the shock

4- The difference in response is due to the difference in the dimension of neuroticism versus emotional balance and the dimension of extraversion versus introversion.

Keywords: neuroticism; extroversion; hysterical; dystemy.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

تابع الباحث من على شاشة التلفزيون وقائع محاكمة الوزيرين السابقين (عبد المالك سلال وأحمد أويحي) كباقي الجزائريين ،غير أنّه في تلك اللحظة، وبحكم تخصص الباحث (النفسي الاجتماعي)، لم يكن يركز انتباهه على الوقائع والتهم المنسوبة لهؤلاء، ولا على العقوبة أو الحكم القضائي الذي سوف ينطق به قاض الحكم، بقدر تركيزه على ردود أفعال الوزيرين السابقين سلوكياً ونفسياً أمام صدمة المحاكمة ،إنّ أهم دافع جعل الباحث يخوض في هذا الموضوع ،هو عدم اقتناعه بالتعليق الذي قدمه صحفي القناة قائلا : لقد انهار سلال في حين بدا أويحي هادئا أتصور أن هذا النوع من الإدراك أفرزته المواصفات الخارجية للظاهرة ، لا أحد ينكر أنّ سلال كان يضع رأسه بين يديه في كثير من الأحيان داخل المحكمة، صحيح أنه بدا منهاراً، لقد أجهش بالبكاء عندما أعطيت له الكلمة قائلا : أنا إنسان بسيط، أنا كبير في السن وما بقي لي إلا الرجوع الى دار الحق، دخل سلال في حالة من الهستيريا ذهبت به إلى حد التوسل إلى القاضي طالبا منه أنّ يرد له اعتباره ، كونه خدم الدولة لأكثر من 40 سنة ،وذهب الى استعطاف المؤسسة العسكرية قائلا: كنت فخور ببلاء جيشنا في حادثة (تقنتورين)،واصل معبراً : قولوا ما تريدون، انا لست لصاً لم اسرق، أما (أويحي) بدا أكثر صلابة واقل تأثرا ...الخ ،عندما أعطيت له الكلمة، وقف أمام القاضي قائلا : أنا بريء، ثم عاد إلى مكانه في القاعة ،بعد هذا الوصف يبدو أننا أمام استجابتين مختلفتين لموقف بيئي واحد.

ومن هذا المنطلق ،تداعت فكرة تقديم قراءة سيكولوجية موضوعية للظاهرة والتي اشرح فيها الأسباب التي تقف وراء الفروق الفردية في استجابة مفردتي الدراسة (سلال وأ ويحي)،من خلال تحليل مضمون فيديو المحاكمة وتاريخ الحالتين وتقعيد الظاهرة من خلال التراث السيكولوجي الذي بحث في أسباب الفروق الفردية بين البشر في الاستجابة للمنبه الخارجي الواحد الصعب.

أمام هذا الوصف الوجيز للموقف البيئي الصعب، والذي عاشه كلا المتهمين ونقصد به (سلال و أويحي) والممثل في لائحة الاتهام المنسوبة لكليهما، والتي قد تصل عقوبتها الى(20 سنة)، قد افرز لنا هذا الموقف استجابتين مختلفتين لمنبه خارجي واحد، بالرغم من التجانس الكبير في خصائص مفردتي البحث بين (سلال و أويحي) والذي سيحول دون تدخل المتغيرات الدخيلة على الموضوع ، التي يمكن إيجازها في النقاط التالية :

1. كلاهما رئيس حكومة سابق في عهد الرئيس المستقيل (بوتفليقية)
2. كلاهما من جنس واحد(ذكر)
3. لهما نفس التكوين الأكاديمي (خريجي المدرسة العليا للإدارة بالجزائر). .
4. بينهما تقارب كبير في السن، (سلال من مواليد 1948) ،(احمد اويحي 1952).
5. نال كلاهما نفس الحكم القضائي الابتدائي من محكمة سيدي امحمد (15سنة سجن).

لكن بالرغم من هذا التجانس الكبير في خصائص مفردتي الدراسة، لم يمنع ذلك من تسجيل اختلاف كبير بين المفردتين في طبيعة وطريقة استجابة كل مفردة أمام الموقف البيئي الصعب . من هنا يمكن طرح السؤال على النحو التالي:

1. لماذا اختلفت ردة الفعل بين المتهمين ؟
2. لماذا انهار عبد المالك سلال نفسياً أمام المحكمة ، ولم يحدث ذلك لأحمد أويحي ؟
3. هل كان احمد اويحي قويا وسلال ضعيفا من الناحية النفسية ؟

2- أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة كونها ستحاول أن تقدم قراءة علمية سيكولوجية حول فرق الاستجابة لمتهمين أدينا بنفس التهمة.

- أنّ المحاكمة نالت الكثير من التحليلات القانونية والسياسية وحتى الاقتصادية من على شاشات القنوات التلفزيونية، لكنها لم تنل الحظ نفسه من الناحية النفسية الاجتماعية على حد علم الباحث.
- اغتنام فرصة تجانس مفردتي الدراسة (سلال، أحمد أويحي) في كثير من المتغيرات لتقديم السبب الرئيسي الذي يقف وراء اختلاف الاستجابة بين المفردتين.

3- أهداف الدراسة:

- تقديم قراءة سيكولوجية علمية تفسر سبب اختلاف الاستجابة بين مفردتي الدراسة.
- استحضار التراث السيكولوجي المناسب للظاهرة وتقعيدها علمياً.
- تصحيح الإدراك الخاطئ في وصف الظاهرة لبعض المحللين .

4- مفاهيم الدراسة:

4-1- بعد العصابية / الاتزان الانفعالي.

ويعبر عنها أنّها عبارة عن سمة وراثية بالأساس، يظهر جليا عند الإحباط الشديد يمثل هذا البعد متصل ثنائي يجمع بين العصابية كطرف ،والاتزان في الطرف، حيث يتوزع جميع الأفراد وبدرجة متفاوتة على هذا المتصل.

4-2- بعد الانبساط/الانطواء.

ويعبر عنها أنها سمة وراثية بالأساس، يمثل هذا البعد متصل ثنائي القطب، يجمع بين الانبساط كطرف ، والانطواء في الطرف المقابل، حيث يتوزع جميع الأفراد وبدرجات متفاوتة على هذا المتصل.

4-3- الاستجابة الهستيرية.

هي استجابة يكون التعبير فيها خارجي ، تحدث هذه الاستجابة عندما يقترن مستوى عال من العصابية مع مستوى عال من الانبساط ، أمام منبه صعب.

4-4- الاستجابة الديستيمية :

هي استجابة، التعبير فيها داخلي، تحدث هذه الاستجابة عندما يقترن مستوى عال من العصابية مع مستوى عال من الانطواء أمام منبه صعب.

5- أدوات الدراسة :

5-1-تحليل مضمون فيديو المحاكمة : يتم من خلال تحليل ردود أفعال مفردات الدراسة من على شاشة الفيديو ومحاولة تقعيد استجاباتهم من خلال استحضار التراث السيكولوجي النفسي الذي تناول مواضيع مشابهة .

5-2-تاريخ الحالة : يتم ذلك من خلال الرجوع بساعة الزمن إلى الوراء لتوصيف ملمح الشخصيتين عندما كانا يمارسان نشاطهما كوزيرين للحكومة في عهد الرئيس بوتفليقة.

6- منهج الدراسة:

تم الاعتماد على منهج تحليل المضمون من خلال تحليل فيديو المحاكمة الذي نقلته قناة البلاد مباشرة.

7- الخلفية النظرية للدراسة:

يتصور الباحث أنّ انسب نظرية يمكن الاعتماد عليها في تقعيد ظاهرة الفروق الفردية في الاستجابة لنفس الموقف البيئي الصعب ،هي نظرية الأنماط لايزنك(1969) EYSENCK ،التي حاولت تفسير سبب الفروق الفردية بين البشر في استجابتهم لنفس المنبه المحبط، والذي أرجعتها أصلا إلى التباين في نمط شخصياتهم.

لقد نظر أيزنك H.J.Eyzenck إلى الشخصية باعتبارها تنظيما داخلياً يمكننا من تفسير المظاهر المختلفة للسلوك، ويعرفها بأنّها: المجموع الكلي لأنماط السلوك الفعلية التي تتحدد بعاملي الوراثة والبيئة معا، فهي تنبعث وتتطور من خلال التفاعل الوظيفي لأربعة أجهزة رئيسيه تنتظم فيها تلك الأنماط السلوكية: " وهي :جهاز السلوك النزوعي والإرادة الذي يشير إليه بالطبع، وجهاز السلوك الوجداني والانفعالي الذي يشير إليه بالمز (عبد الخالق احمد ،1992 ص88).

ولقد وضع أيزنك نظريته في الشخصية داخل تصميم هندسي له شكل هرمي يبدأ في أسفله بقاعدة عريضة تضم وقائع سلوك الأفراد وعاداتهم، أو عينة كبيرة من الوقائع أو العادات، ثم تتلخص هذه القاعدة في مستوى أعلى منها عبارة عن عدد محدود من الأبعاد الصغرى آو السمات، ثم تتلخص هذه السمات أو تتجمع في مستوى أعلى منها هو مستوى الأبعاد الكبرى أو الأنماط (معمرية بشير،2009ص46).

وتوصل بعد دراساته العالمية المستفيضة إلى استخراج عدد صغير من الأبعاد اعتبرها أبعاداً أساسية للشخصية، وحددها بطريقة فائقة وهذه الأبعاد هي :

1-7- بعد العصابية / الاتزان:

وهو عبارة عن مسطرة قياس، أو بعد ثنائي القطب يتقابل فيه متغيرين هما العصابية والاتزان ألانفعالي :

ويتميز الشخص الذي ترتفع درجته على العصابية بالاضطراب الانفعالي ويميل إلى القلق وانخفاض القدرة على تحمل لإحباط، والضعف في المواقف التي تنطوي على ضغوط نفسية، ويميل إلى الشعور بالنقص، أما الشخص الذي تنخفض درجته على العصابية فيتميز بالتوازن الوجداني والثبات الانفعالي وقوة الأنا والشعور بالثقة في النفس.

الشكل 1: (يوضح توزيع البشر على بعد العصابية / الاتزان)

العصابية الاعتدال الاتزان

2-7- بعد الانبساط / الانطواء:

وهو عبارة عن مسطرة قياس أو بعد ثنائي القطب يقابل بين الانبساط والانطواء و ، فالانطوائي شخص يهتم بذاته من حيث مشاعره وأفكاره، ويأخذ بالقيم والمبادئ المستمدة من عالمه الداخلي، ويتميز بأنّه أكثر مثابرة وأكثر ذكاء ،أما الانبساطي فهو شخص يوجه اهتمامه نحو الآخرين ، ويأخذ بقيم ومعايير العالم الخارجي وهو أكثر تقاعساً وكسلا.

يذكر أيزنك أنّ بعدي العصابية والانبساط هما البعدان الوحيدان اللذان تم استخرجهما في العديد من الدراسات ومن عينات مختلفة في مجتمعات مختلفة وبالتالي فهما البعدان الأكثر أهمية في وصف السلوك الإنساني.

الشكل 2: (يوضح توزيع البشر على بعد الانبساط / الانطواء)

انبساط الاعتدال انطواء

8- الدراسات المبكرة (لايزنك) لاستخراج : بعد العصابية / الاتزان الانفعالي

1-8- بعد الانبساط / الانطواء :

انتبه الطبيب النفسي (أيزنك) عند نهاية الحرب العالمية الثانية أنّ هناك من الجنود الانكليز من رجع من الحرب محطما نفسياً واظهر أعراضا عصابية، وآخرون استطاعوا بسهولة التكيف مع نمط الحياة المدنية الجديدة، لذا حاول أيزنك أن يعرف سبب الفروق الفردية بين الجنود في الاستجابة للموقف البيئي الصعب ممثلا في (ويلات الحرب).

وأراد أنّ يجيب عن السؤال التالي: لماذا انهار البعض ولم ينهار البعض الأخر بعد انتهاء الحرب ؟ الدراسة الأولى :تمت خلال سنوات الحرب 1945على مجموعة تتكون من 700 جندي عصابي تم ترتيبهم بالنسبة لعدد من السمات وفقا لما يراه الأطباء العقليون ،والدراسة المبكرة الثانية : تعتبر هذه الدراسة أكثر شمولا من الدراسة الأولى، وقد أجريت عام 1947 على مجموعة تتكون من عشرة آلاف من المفحوصين العصابيين والأسوياء بعد أن اخضع بيانات هذه الدراسة لأساليب التحليل العلمي استخرج عاملين أساسيين اسماهما :عامل الانطواء-الانبساط وعامل العصابية- الاتزان.

2-8- الفرق بين العصابية والعصاب :

ليست العصابية هي العصاب او الاضطراب ألنفسي بل هي الاستعداد الوراثي للإصابة بالعصاب، فالعصابية في مقابل الاتزان الانفعالي، هما مصطلحان يشيران إلى النقط المتطرفة للمتصل آو البعد ،الذي يتدرج من الثبات الانفعالي أو قوة ألانا إلى عدم الثبات الانفعالي في الطرف المقابل، يترتب على هذا التصنيف أن لكل فرد مركز على هذا المحور او البعد، ويجب التمييز بين العصابية، أي عدم الاتزان الانفعالي الموروث الذي يهيئ الشخص ويجعله مستعدا لتكوين اعرضا عصابية، وقد يظهر العصاب عند شخص لديه درجة منخفضة من عدم الاتزان الانفعالي نتيجة ضغط بيئي قوي، وقد لا يظهر عند شخص لديه استعداد شديد للعصاب نتيجة لعدم التعرض لضغوط بيئية شديدة .(عبد الخالق 1992ص.293)

وعليه ،العصابية تتأثر بعوامل البيئة ولا تعكس فقط النمط الوراثي للمفهوم ذلك لان : العصاب = العصابية × المواقف البيئية الضاغطة ،لذا كشفت بعض الدراسات، أنه كلما زاد الاستعداد الوراثي للعصاب احتاج الفرد الى درجة اقل من ضغوط البيئة ليصدر عنه رد الفعل العصابي(Eysenck ;1969p.60.).

العصابية إذن :هي بعد عاملي يكون متصلا من السواء والاتزان ألانفعالي الى الطرف العصابي كما يوضحه الشكل التالي :

الشكل 3: (يوضح بعد العصابية والاتزان)

عصابي- ----------ا---------- + اتزان

إنّ النقط التي تقترب من الطرف الموجب للمتصل تسمى بالشخصيات المتزنة انفعاليا، أما النقط التي تتجه نحوا لطرف السالب تسمى بالشخصيات المرضية وغير لمتزنة انفعالياً أي العصابية ،يقع على يمين النقطة (ا) الأفراد المعرضون للإحالة على الطبيب النفسي ويسمى هؤلاء، بالمضطربين نفسياً (عصابيين)، والفرق بين العصابي وغير العصابي ليست فروقا كيفية بل هي فروق كمية. (Eysenck ; 1950 p132)

أ- وراثة العصابية:

يرى عدد من الباحثين أن العصابية تورث على الأقل بالدرجة نفسها التي يورث بها الذكاء، ولقد تبين من خلال دراسات عدة، أنّ ثلاثة أرباع التباين الكلي للفروق في العصابية والانبساط ترجع الى عوامل وراثية ،كما أن دراسة التوائم هي الطريق الأمثل للتأكد من صحة هذا الافتراض ويتم ذلك من خلال دراسة التوائم الحقيقية(التي انقسمت من بويضة واحدة)، لكنها تلقت تربية منفصلة ونشأت في بيئتين مختلفتين لتفادي النقد القائل، إن البيئة المشتركة والمعاملة الواحدة هي سبب تشابهها، وكثيراً ما ركز علماء النفس على العوامل الاجتماعية وأغفلوا العوامل البيولوجية .

ومن سوء الحظ أنّ يحدث هذا لأن أي ميل في زيادة التركيز على أحد جوانب الشخصية يؤدي إلى إغفال عوامل أخرى هامة في الشخصية ،وأن لكلا العاملين أهمية كبيرة في تحديد أبعاد الشخصية، (Eysenck ; 1969,p.4).

ب-العصابية والانبساط :

العصابية بعد ثنائي القطب يجمع بين ذوي الاستعداد المرتفع للإصابة بالاضطراب العصابي أي(العصابيين الفعليين) في طرف، وبين ذوي الدرجات المنخفضة على العصابية من المتوافقين المتزنين في الطرف المقابل ،لذا فان القطب الأول يشير إلى عدم السواء (الممكن او الفعلي). أم الانبساط فهو بعد ثنائي يجمع بين المنبسط والمنطوي النموذجي مع درجات بينية بطبيعة الحال، والانطواء ليس قطبا باثولوجيا، إذ لا يمنع أنّ يكون هناك الأسوياء المنطوون. لأنّ العصابية والانبساط بعدان متعامدان أي مستقلان، بهذا الشكل يصبح من الخطأ طرح السؤال بالصيغة التالية: هل زيد من الناس عصابي او منطوي؟)وكأننا نسال (هل عمر من الناس طويل او ذكي)إذ يجب أنّ نحدد مركزه على كلا البعدين المستقلين الطول والذكاء ذلك لان لكل شخص درجة مستقلة ومركز على كلا البعدين يفترض أيزنك أنّ مركز الشخص على بعد الانبساط/الانطواء هو الذي يحدد نوع الاضطراب العصابي الذي يمكن أن يصاب به، وبلغة علم الأعراض يحدد نوع الاستجابة إما أن تكون هستيرية وهي اقتران (العصابية مع الانبساط) وأما ديستيمية، وهي اقتران (العصابية مع الانطواء) ،وعليه ينتج لدينا ما يلي :

1- العصابي المنبسط: يمثل حالات الهستيريا والسيكوباتية والإجرام وهؤلاء سيصابون بالهستيريا أو السيكوباتية في حالة الانهيار العصبي.
2- العصابي المنطوي أو الديستيمي : ويجمع حالات القلق والاكتئاب والمخاوف والوسواس فهؤلاء سيصابون بالاضطرابات الديستيمية في حالات الانهيار العصبي.(المرجع السابق319).

وفي دراسة قام بها أيزنك، طبق فيها اثنين وعشرين اختباراً على مجموعات من العصابيين والأسوياء، وحللت نتائج الدراسة عامليا، فأظهرت النتائج أنّ الديستميين لهم درجات عالية على بعد

العصابية والانطواء، أما الهستيريون فاظهروا درجات عالية على بعدي العصابية والانبساط(Eysenck, 1957,p202) .

9- مناقشة الجانب النظري لبعدي العصابية / الانطواء :

حاول أيزنك من خلال هذه النظرية أنّ يبسط تعقد الشخصية البشرية وينجح في تفكيكها إلى أبعاد أو أنماط قليلة، ومن ناحية أخرى فإن أيزنك يعتبر رائداً للموضوعية في دراسة الشخصية، وفي بناء الاختبارات التي تقيس ألشخصية كما تعتبر أعماله مميزة لمرحلة بأسرها في تاريخ علم النفس وسيكولوجية الشخصية. وأوضح في نظريته "البعدية" تصوره الموضوعي الشامل لدراسة الشخصية من خلال أبعادها، التي أرجعها بالنسبة لبعدي الانطواء والعصابية إلى الأفكار المبكرة لأنماط الشخصية، وتقليدا لاتجاه المدرسة الانجليزية في تصورها لبناء الذكاء، وضع أيزنك تصوره الهرمي لبناء الشخصية، وقام بوصفها في عدد صغير من الإبعاد، ونرى أنها كافية لوصف شخصية الفرد بتحديد مكانه على أي بعد من أبعادها، واستطاع أن يحدد أنماط شخصيات الأفراد (س،ع،ص) من خلال تحديد درجة كل واحد منهم على بعدي الانطواء والعصابية المتعامدين، فالفرد ع مثلا ذو درجة مرتفعة على بعد الانطواء/الانبساط في اتجاه الانبساط وذو درجة مرتفعة على بعد العصابية/الاتزان في اتجاه العصابية، فان سلوكه سيتخذ شكل الاستجابة الهستيرية السيكوباتية.

حاول أيزنك أنّ يؤسس لنظرية الأبعاد من خلال التوفيق بين ما هو موروث وبين ما هو مكتسب. ويربط بين علم النفس وعلم الأعصاب والفيزيولوجيا بصفة عامة ربطا وثيقا، ويرى ان هذا الربط بالغ الأهمية في تفسير الشخصية وأبعادها. (لازاروس ريتشارد 1998 ص112)

10- تحليل ومناقشة مضمون فيديو المحاكمة:

يتصور الباحث أنّ المواقف البيئية الصعبة التي قد يتعرض لها الإنسان في حياته والتي لها شدة عالية من الضغط، كفيلة بتعرية وكشف حقيقة شخصية الأفراد وإظهارها على طبيعتها الأصلية الأولى، فما كان لنا لنتعرف على شخصية هذين الوزيرين المتهمين ،قد لا يختلف اثنان ،أنّ البشر لم يتم خلقهم في شكل قوالب متشابهة متطابقة، بل بينهم فروق، ولا يمكن لهده الفروقات تبرز لولا الموقف البيئي الصعب والضاغط والمتمثل في ظروف المحاكمة ،إن هده الفروق الفردية أسس لها العامل الوراثي أولا، ثم البيئة في المقام الثاني ،فالنّاس ليسوا على حدّ سواء في مستوى الذكاء كأداء عقلي ،بل كل الدراسات والقياس النفسي أثبتت كميا وبالأرقام أنهم يختلفون في الدرجة لا في النوع . أما من الناحية النفسية (النزوعية، المزاجية) جاءت نظرية الأنماط (لايزنك EYSENCK 1969)لتأخذ نفس المنحى الذي أخذه القياس النفسي للذكاء في بداية القرن الماضي، ليتم استخراج بعدي العصابية مقابل الاتزان الانفعالي، وبعد الانبساط مقابل الانطواء ،وكل بعد من هذه الأبعاد يشكل في النهاية

سمة تم استنباطهما بواسطة التحليل العاملي، إنّ أصل هذين البعدين وراثي بالأساس، والبيئة الخارجية تعمل على إثارتها أو تهذيبها آو الحد منها، إلا أنّها قد تعجز في بعض الأحيان لشدة الموقف في أنّ توازي وتغطي على أصلنا الوراثي الأول، الذي هو منبع شخصية الأفراد بالأساس، عطفاً عن التساؤل الرئيسي الذي طرحناه في متن الإشكالية والذي مفاده : هل كانت هناك فروق فردية في ردة الفعل بين (عبد المالك سلال واحمد اويحي) أمام التهم المنسوبة إليهم من طرف المحكمة؟ هل انهار سلال نفسيا أمام المحكمة ولم يحدث ذلك لأ ويحي؟ هل كان سلال ضعيفاً واويحي قويا من الناحية النفسية ؟ لقد بدا الأمر كذلك لكثير من المحللين والصحفيين في القنوات التلفزيونية، إلا أنّي لا أشاطرهم الرأي في كيفية إدراكهم الذي بني على الوصف الظاهري الخارجي للظاهرة، بل الامر يحتاج إلى التخصص والتقعيد العلمي حتى نفي الموقف حقه من التحليل المنطقي والموضوعي لنصحح الأخطاء التي قد نقع فيها نتيجة الإدراك الخاطئ. بالرجوع الي مضمون الفيديو وندقق الملاحظة ،سجل الباحث وهو يطالع فيديو المحاكمة الذي عرضته قناة البلاد بعض الملاحظات أوجزها في النقاط التالية :

- ظهر كل من (عبد المالك سلال وأحمد اويحي) شاحبي الوجه وأنهما قد فقدا شيئا من وزنهما ، وهذا أمر طبيعي قد يقع لأي إنسان نتيجة للموقف البيئي الصعب والضاغط الذين وجدا فيه .
- ظهر (عبد المالك سلال) غير مرتاح ، إذ كان يمسك برأسه بين يديه ، الأمر الذي دفع قاض الجلسة ليسأله ان كان بحاجة الى معاينة طبية ، فنفى حاجته لذلك.
- بدا (أحمد اويحي) هادئاً.
- سئل سلال ، لماذا لم ترجع السيارة الحكومية التي كنت تستغلها ، فأجاب نسيت إرجاعها
- سئل سلال، لماذا لم تصرح بملكيتك لسيارة فاخرة من نوع RANGE – ROVER ، فأجاب أنّي لا املك رخصة سياقه.
- سئل احمد اويحي ،من أين لك بي (30 مليار) التي وجدت في حسابك البنكي، فأجاب هي عبارة عن امتيازات استفدت منها، وأضاف لست غبياً لأضع هذا المبلغ المالي في البنك بغرض تبييض هذا المبلغ .

انجلت صورة الاختلاف في نمط شخصية الرجلين بشكل أدق عندما أعطيت الكلمة إلى (عبد المالك سلال)، ليعقب على لائحة الاتهام وطلبات وكيل الجمهورية دخل هذا الاخير في حالة من الهذيان الهستيري ذهب به إلى حد التوسل الى القاضي طالبا منه أنّ يرد له اعتباره، كونه خدم الدولة لأكثر من 40 سنة، وذهب الى استعطاف المؤسسة العسكرية قائلا: كنت فخور بجيشنا أمام رؤساء الدول الذين قابلتهم خاصة بعد البلاء الجيد لجيشنا في حادثة (تقنتورين)، واصل معبراً : قولوا ما تريدون،

أنا لست لصاً لم اسرق ،أنا انسان بسيط، أجهش سلال بالبكاء،: " أنا كبير في السن وما بقي لي إلا الرجوع الى دار الحق"، أما أحمد اويحي فوقف امام القاضي ليقول كلمة واحدة : "أنا بريء" ويعود الى مكان جلوسه ،فلما هذا الاختلاف في نوعية الاستجابة بين مفردتي البحث ؟ بالرجوع الى تاريخ الحالتين لتحديد ملمح شخصية كل واحد منهما خاصة على بعد الانطواء مقابل الانبساط، يظهر جلياً أنّ (عبد المالك سلال)، شخص اجتماعي، عرف عليه التنكيت والمزاح اللفظي في تعامله مع الجماهير، ألم يقل ذات مرة : نحن نقول في قسنطينة (شاوي حشاك)،(الفقاقير، جمع فقارة)، قال للنساء في حملة بوتفليقة (اضربوا ازدواجكم بالعصا إذا لم يذهبوا الى التصويت ،قال للشباب الذي اقترض الاموال في إطار دعم المؤسسات الناشئة، لن نحاسبكم، لكم ان تتزوجوا بها، أما احمد اويحي فعرف أنه صاحب المهمات القذرة كما يصفه البعض ، ومن بين تصريحاته: (وصل السكين الى العظم ليصف نفاذ احتياطي الصرف)،(الجزائري ليس مجبرا على أكل الزبادي) ...الخ، لم يكن الرجل يوما محبوب من طرف الجماهير. من خلال هذا الوصف لتاريخ الحالتين موضوع الدراسة خاصة ما تعلق ببعد الانبساط / الانطواء، يمكن للباحث ان يفترض موقعا متقدما لرئيس الحكومة السابق (عبد المالك سلال) على بعد الانبساط مقابل الانطواء، في حين افترض موقعا أقل بكثير على هذا البعد وأقرب منه إلى الانطواء أكثر من الانبساط ذلك أنّه بطبعه ونمط شخصيته لم يكن اجتماعي الى المستوى الذي عهدناه عند(سلال)،يمكن وصف ذلك كميا من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (04) :" توزيع مفردتي الدراسة على بعد (الانبساط /الانطواء)"

انبساط ----------ا---------- انطواء
(سلال) (اويحي)

أما ما تعلق ببعد العصابية مقابل الاتزان الانفعالي ، فالباحث يفترض أن (سلال) يتقدم عن (اويحي) على هذه المسطرة ، مثلما يبينه الشكل التالي :

الشكل رقم (05) توزيع مفردتي الدراسة على بعد (العصابية / الاتزان)

عصابية ----------ا---------- اتزان
(سلال) (اويحي)

سيشرح الباحث لماذا اختار هاتين الفرضيتين، استناداً للتراث السيكولوجي الذي تم الاستعانة به في التقعيد النظري للدراسة، تبدو تلك الافتراضات مبررة، أن استجابة عبد المالك سلال كان يغلب عليها الطابع الهستيري الذي يؤشر على نمط مفردة الدراسة (عبد المالك سلال)، أي أنّ منسوب الانبساط لديه مرتفع، الأمر الذي عاهدناه عليه قبل وجوده في هذا الموقف، ولا يظهر التعبير الهستيري بشكل واضح، إلا

إذا ارتبط بعد الانبساط ببعد العصابية، فاشخص الذي لديه مستوى عال من العصابية ومستوى عال من الانبساط تكون ردة فعله هستيرية ،بمعنى أنّ هذا الشخص مبرمج سلفا بحكم الوراثة أولا ثم البيئة في المقام الثاني أنّ ينتج هذا النوع من السلوك، الأمر الذي انتهت اليه نظرية الانماط عند أيزنك وقدمت ملمح كل بعد في الصورة التالية:

إنّ العصابيين المنبسطين : سيصابون بالهستيريا او السيكوباتية في حالة الانهيار العصبي.

أما العصابيين المنطويين سيصابون بالاضطرابات الديستيمية في حالات الانهيار العصبي(Eysenck ; 1957,p200). وقد أشار التراث السيكولوجي بدقة الى الخصائص النفسية للفئتين في صورتهما المرضية على النحو التالي :

10-1- الانطوائيون العصابيون :

يبدون ميلاً الى إظهار أعراض القلق والاكتئاب، حيث أنّهم متميزون بالميول الوسواسية والقابلية للإثارة والتبدل، ويسهل اذاء مشاعرهم واستثارة إحساسهم. وهم عصبيون ويستسلمون لمشاعر النقص، ومن ذوي المزاج المتقلب ،ويسهل استغراقهم في أحلام اليقظة، ويبتعدون عن الأضواء في المناسبات الاجتماعية، ويعانون من الأرق وذكائهم مرتفع نسبيا وقدرتهم اللفظية ممتازة، ويغلب أن يكونوا مثابرين ،ويتميزون بالدقة غالبا. ويتفوقون في الأعمال الدقيقة ،كذلك فان طموحهم مرتفع بشكل غير عادي وهم لا يرحبون بالنكات كثيرا .(عبد الخالق أحمد ،1992 ص47).

10-2- العصابيون الانبساطيون :

يميل هؤلاء إلى إظهار أعراض هستيرية تحولية وتبدو طاقتهم ضئيلة واهتماماتهم ضيقة ، وتاريخهم المهني سيئ، ويعانون من توهم المرض، ينخفض مستوى ذكائهم نسبيا، وكذلك ينخفض محصول المفردات لديهم، ويبدون نقصا شديدا في المثابرة، وهم أميل الى السرعة وعدم الدقة ،وأداءهم سيئ بالنسبة للأعمال الدقيقة، ويتميزون بالمرونة، وهم ميالون للنكات (نفس المرجع ص48).

اعتقد بعد الوصف الذي قدمه لنا التراث السيكولوجي الذي بحث في أسباب اختلاف البشر في استجابتهم للموقف البيئي او المنبه الواحد، والذي أرجعه بالأساس في المقام الأول إلى عامل الوراثة والعامل البيئي في المقام الثاني، وقدم لنا خصائص ملمح كل شخصية، نعتقد ان التحليل الذي قدمناه صائب الى حد كبير.

11- الاستنتاج العام :

إن أهم استنتاج يمكن الخروج به من هذه الدراسة، أنّ حكم القيمة الذي نصدره على البشر من الناحية النفسية السلوكية ، يجب أن يؤسس على مرجعية علمية دقيقة حتى لا نجانب الصواب في إدراكنا للمواقف البيئية، وهذا يتطلب التخصص، لأن المتخصص أدري بجزئيات الأمور، وفي الغالب الحقيقة تسكن في الجزئيات، وأن الخطأ في إدراك الجزئيات يؤدي إلى أخطاء في المشاعر، والخطأ في هذه الأخيرة يؤدي إلى أخطاء في السلوك مثلما أفهمتنا إياه النظرية المعرفية، وأن اختلاف ردة الفعل

بين مفردتي الدراسة (سلال و أويحي)، أمر طبيعي، لاختلاف ملمح الشخصيتين بينهما، ولا يمكن الجزم قطعاً أنّ (عبد المالك سلال) كان أكثر اضطراباً، وأن (أحمد أويحي) كان أقل تأثرا من زميله، وأن (عبد المالك سلال) كان ضعيفا ،وأن (أحمد أويحي) كان قويا من الناحية النفسية في مواجهة الصدمة ،بل إنّ كلا المفردتين كانتا تحت ضغط شديد من شدة الصدمة، وان اختلاف ردة فعل بينهما، أمر مبرمج سلفا، أفرزته الوراثة في المقام الأول (بعد ي العصابية + الانطواء)، وأنّ البيئة ممثلة في (المحكمة ، لائحة الاتهام)، هي عبارة عن منبه خارجي ساهم في المقام الثاني في إثارة العامل او البعد الوراثي، بمعنى أنّ البيئة عبثا تحاول أن تجعل من طفل(منغولي) ولد بي(47) كرمزوم أنّ تجعل منه عبقرياً لأنه محكوم ومبرمج سلفا أن يكون أداءه العقلي منخفض، بل تسعى البيئة إلى تكييف عملية التعلم بما يتناسب وأدائه العقلي الضعيف. لذا افترض الباحث أن المفردة الأولى (سلال): شخصية انبساطية / عصابية، وذلك بالعودة إلى تاريخ هذه الحالة، كونها شخصية اجتماعية، ميالة الى التنكيت والهزل، وما رصدناه من ردود أفعال هستيرية لديها أثناء المحاكمة، وما حدثنا عنه التراث السيكولوجي في وصف هذا النوع من الشخصيات في الحالة العادية أو الحالة المرضية. يصف التراث السيكولوجي الشخص العصابي المنبسط على أنّه، شخص اجتماعي يحب الحفلات وله عديد الأصدقاء، ويحتاج إلى الناس ليتبادل معهم الحديث، ولا يحب القراءة أو الدراسة بمفرده، وهو بشكل عام إنسان مندفع ولديه إجابات حاضرة على الدوام، ويحب التغيير عموما وغير مبال ومتفائل ويحب الضحك والمرح، وهو يفضل أن يتحرك وأن يفعل شيئا ما على الدوام، وهو يميل الي العدوانية ويفقد أعصابه بسرعة وعلى العموم لا يتحكم في مشاعره، وهو ليس من الأشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم. يميل هؤلاء الى إظهار أعراض هستيرية تحولية، ويعانون من توهم المرض وينخفض مستوى ذكائهم نسبيا ، وكذلك ينخفض محصول المفردات لديهم ، ويبدون نقصا شديداً في المثابرة، وهم أميل إلى السرعة وعدم الدقة، وأداءهم سيئ بالنسبة للأعمال الدقيقة، وهم ميالون للنكات. أما المفردة الثانية (أحمد أويحي) افترضنا أنّها شخصية عصابية انطوائية نظرا لكونها شخصية غير محبوبة من الجماهير استنادا لتاريخ الحالة والى التراث السيكولوجي الذي وصف ملمح وردة فعل هذا النوع من الشخصيات في الحالة العادية او الحالة المرضية، يصف التراث السيكولوجي الأشخاص العصابيين المنطويين على أنّه شخصن هادئ ومن النوع الانعزالي الذي يميل الى الاستبطان الذاتي، المولع بالكتاب أكثر من الناس، وهو متحفظ ومترفع الى مع الأصدقاء المقربين وهو يميل إلى أنّ يخطط وينظر قبل أنّ يخطو ، ولا يثق في الانطباع الوقتي ، ولا يحب الإثارة، ويأخذ أمور الحياة اليومية بالجدية الواجبة، ويحب طريقة الحياة المنظمة، وهو يتحكم في مشاعره تحكما تاماً ونادرا ما يتصرف بطريق عدوانية ، ولا يفقد اعصابه بسهولة، ويمكن الاعتماد عليه، وهو متشائم الى حد ما، ويقيم وزنا كبيرا للمقياس الأخلاقية.(ايزنك ، 1969 ص 62).

ولهذا قد يميلون إلى إظهار أعراض القلق والاكتئاب، حيث أنّهم متميزون بالميول الوسواسية والقابلية للإثارة والتبدل ويعانون من عدم الاستقرار في الجاهز العصبي اللاإرادي، فإنه يسهل اذاء

مشاعرهم واستثارة إحساسهم، وهم عصبيون ويستسلمون لمشاعر النقص ،ومن ذوي المزاج المتقلب، ويسهل استغراقهم في أحلام اليقظة، ويبتعدون عن الأضواء في المناسبات ألاجتماعية ويعانون من الأرق، أما بالنسبة إلى بنيانهم الجسمي فإنّ نموهم الرأسي يتفوق على نموهم الأفقي استجابتهم بالجهد ضعيفة ،و إفراز اللعاب لديهم مكفوف،و ذكائهم مرتفع نسبياً و قدرتهم اللفظية ممتازة، و يغلب أنّ يكونوا مثابرين و يتميزون بالدقة غالبا و لكن مع بطئ و يتفوقون في الأعمال الدقيقة ،كذلك فان طموحهم مرتفع بشكل غير عادي و لكن يميلون الى التقليل من مستوى أدائهم .بالإضافة الى ذلك فهم أميل للجمود، و لا يبدون إلا قدرا ضئيلاًمن التباين الفردي في السمات الشخصية، و تميل تفضيلا تهم الجمالية إلى الصور الهادئة ذات الطابع القديم، وهم لا يرحبون بالنكات كثيراً وخطهم في الكتابة ممتاز أنّ الكثير من هذه الأوصاف التي استطعنا رصدها بالملاحظة و من خلال تحليل مضمون فيديو المحاكمة او من خلال استحضار التراث السيكولوجي الذي فسر اسباب الفروق في استجابة الأفراد أمام المنبه، نتصور أن الكثير من تلك الأوصاف تنطبق على المفردتين محل الدراسة .

في نهاية هذا الاستنتاج يتبين أنّ المفردتين كانتا تحت الصدمة ، وليس هناك مفردة ضعيفة وأخرى قوية نفسياً، بل كلاهما كان مضطربا ومتأثرا، الا أنّ طريقة التعبير عن هذا الاضطراب والتأثر اختلفت المفردتين في التعبير عنه، نتيجة الاختلاف في نمط شخصية كل مفردة من مفردات الدراسة تبعاً لبعدي: العصابية /الاتزان وبعد الانبساط / الانطواء ، اللذان يعتبران من إنتاج العامل الوراثي في المقام الأول ثم يأتي العامل البيئي في المقام الثاني كمنبه للاستجابة .

ويتّضح من هذا التحليل الذي تم تقديمه للقارئ الكريم، أنّ شخصية الإنسان هي عبارة عن توليفة بين العامل الوراثي والعامل البيئي المكتسب، وأنّ البشر ليسوا عبارة عن قوالب إسمنتية متطابقة، بل بينهم فروق فردية في جميع مظاهر الشخصية، بداية من الأنا الجسماني الى الأنا العقلي الى الأنا النفسي الاجتماعي الذي هو محل دراستنا هذه، لقد حاول علم النفس في بداية القرن الماضي قياس الأداء العقلي واستحدث اختبارات لقياس الذكاء من خلال أعمال(سيمون بينيه)، أما في أواسط القرن الماضي جاءت أعمال (هانز ايزنك) لتأخذ نفس المنحى، لكن هذه المرة في قياس سبب الفروق الفردية من الناحية النفسية المزاجية، لتجيب عن السؤال الجوهري التالي : لماذا ينهار البعض من الناس نفسيا وبسرعة ، ولا يحدث ذلك للبعض الأخر بنفس الدرجة ؟

الخاتمة :

انتهت أعمال(هانز ايزنك 1969) إلى بناء نظرية الأنماط التي وضحها وبسطها من خلال مفهومين اثنين هما بعد العصابية /الاتزان وبعد الانبساط / الانطواء ،وأنّ هذين البعدين هما عبارة عن أداة لقياس نمط الشخصية في جانبها النفسي(النزوعي، المزاجي) وتحديد درجة كل شخص على هذين البعدين، ليتم التعرف على نسبة الفروق بين المبحوثين.

وعليه انتهت هذه الدراسة الوصفية الكيفية إلى اعتبار اختلاف ردّة الفعل بين مفردتي الدراسة(سلال و أويحي)، أمر طبيعي، لاختلاف ملمح الشخصيتين بينهما، ولا يمكن الجزم قطعا أنّ (عبد المالك سلال) كان أكثر اضطراباً ،وأنّ (أحمد أويحي) كان اقل تأثرا من زميله ،وأنّ (عبد المالك سلال) كان ضعيفاً ، وأنّ(أحمد اويحي) كان قوياً من الناحية النفسية في مواجهة الصدمة، بل أن كلا المفردتين كانتا تحت صدمة شديدة، وأنّ اختلاف ردة فعل بينهما أمراً مبرمج سلفاً، أفرزته معطيات الوراثة في المقام الأول(بعدي العصابية + الانطواء)، وأنّ البيئة (المحكمة، لائحة الاتهام) هي عبارة عن منبه خارجي ساهم في المقام الثاني في اثارة العامل أو البعد الوراثي ، لذا افترض الباحث أنّ المفردة الأولى (سلال): شخصية انبساطية / عصابية، أفرزت سلوكا هستيريا أمام الموقف البيئي الصعب الذي وجدت فيه ما دفعنا إلى هذا الاستنتاج هو تاريخ الحالة، لقد عرف عن(سلال) كونه شخصية اجتماعية ،ميالة إلى التنكيت والهزل ، وما رصدناه من ردود أفعال هستيرية لديها أثناء المحاكمة، وما حدثنا عنه التراث السيكولوجي في وصف هذا النوع من الشخصيات في الحالة العادية او الحالة المرضية. آما المفردة الثانية(أحمد اويحي) افترضنا أنّها شخصية عصابية انطوائية أفرزت سلوكاً ديستيمياً أمام الموقف البيئي الصعب الذي وجدت فيه، أنّ ما دفعنا الى بناء هذا الحكم هو تاريخ الحالة نظراً لكونها شخصية غير محبوبة- حسب علم الباحث، ولم يعرف عنه أنّه شخص هزلي بالقدر الذي عهدناه عند(سلال)، بل عرف أنّه صاحب المهمات الصعبة ويتخذ القرارات الصعبة التي ليست في صالح الشعب، ويمكن القول لقد وصف التراث السيكولوجي ملمح وردّة فعل هذا النوع من الشخصيات في الحالة العادية او الحالة المرضية على أنّه شخصن هادئ ومن النوع الانعزالي، المولع بالكتاب أكثر من النّاس، وهو متحفظ ومترفع مع الأصدقاء المقربين منه، وهو يميل إلى أنّ يخطط وينظر قبل أنّ يخطو، ولا يحب الإثارة، ويأخذ أمور الحياة اليومية بالجدية الواجبة، ويحب طريقة الحياة المنظمة، وهو يتحكم في مشاعره تحكماً تاماً، ونادرا ما يتصرف بطريق عدوانية، ولا يفقد أعصابه بسهولة ، ويمكن الاعتماد عليه وهو متشائم إلى حدّ ما.

المراجع :

1- ايزنك هانز(1969). الحقيقة والوهم في علم النفس. ترجمة : قدري حفني وآخر .دار المعارف .مصر .

2- عبد الخالق احمد (1992) ، الأبعاد الأساسية للشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر.

3- لازاروس ريتشارد (1998) ، الشخصية ، ترجمة سيد غنيم ، القاهرة.، دار الشروق

4- معمريه بشير (2009) ، مصدر الضبط والصحة النفسية ، الطبعة الأولى ،مصر ،المكتبة العصرية.

5-Eysenck,H ,J . (1957): The dynamics of anxiety and hysteria, London ; Methmen.

6-Eysenck,H ,J . (1950): Sense and no sense in psychology ;midd lesex , penguin.

7-Eysenck,H ,J & Eysenck ; S,B (1969): Personality Structure and measurement ; LONDON ; Rutledge and, kegan paul. ; London